

صرخة ميل جيبسون لم تكن حقيقية !! ... وائل الحديني



السبت 30 أبريل 2011 12:04 م

30/04/2011

وائل الحديني

فى عام 2000 مات الأسد .

وباعتبار أن البيانات الرسمية في الدول العربية تلتزم بأصول البروتوكول السياسي في تناولها لحدث ما ولو على سبيل الحقيقة أو الاعتبارات الإنسانية ، كانت التصريحات التي تلت رحيله في الذكرى الثالثة والثلاثين لهزيمة حرب حزيران (يونيو) 1967 باهتة ومكذوبة ومشوهة

فالرجل الذي - زعم البيان السعودي - أنه عمل طوال حياته بإخلاص وتفاني من أجل صالح الأمتين العربية والإسلامية !! ، لم يستطع طوال حياته أن يدفع عن نفسه الكثير من الشكوك ، سواءً دوره في سقوط الجولان ، أو هزيمة جيشه أمام الجيش الأردني ، أو في ملف حقوق الإنسان تحديداً

رفض الأسد أن يتحَّل النقد، ورفض أن يقف في الذاكرة التاريخية لشعبه متهمًا، وفرض براءته بقوة السلاح، ودُفِّر مدينة "حماة"، وأقام على أنقاضها استقرارًا . في عموم سوريا . سيجاه القهر والخوف

في سجل الأسد مئات الآلاف من المهجَّرين لم يلتزموا بأصول العيش الهادئ ولا بمتطلبات الاستقرار ، وطلبوا الحرية والعدل . في سجل الأسد بقيت الجولان محتلة

هذه المشاهد التي مررنا عليها ليست تشويهاً لتاريخ الأسد الملك الذي مات بعد أن أعطى التاج لابنه في سابقة هي الأولى من نوعها ، ففتح بذلك الطريق لأفكارعهود الجمهوريات الملكية - التي أسقطتها ثورتَي مصر وتونس - بقدر ما هي قراءة لعهد بشار الذي دخل عالم السياسة والحكم مضطراً، فلم يُصِفَ جديداً بشار- كما وصفته وكالة (سانا) السورية حينها : (يتصف بسعة الصدر، وحدة الذكاء، والتميز والتواضع والخلق الرفيع) ، وكذا كما وصفه آخرون بـ "اللباقة والقدرة المبهرة على الحديث، والتأثير والإقناع" كمفردات ربما لا يجاريه فيها أحد؛ لذا كان من المتوقع أن يسقط هذه الصفات على أرض الواقع، ويُحدث تغييراً جذرياً، ويعوِّض الشعب الذي عاش أجواء حرب حقيقية استُخدمت فيها القاذفات والمجنزرات ، وقُصِفَت القرى والمدن ، وشُيِّدَت ببقاياها المقابر الجماعية . لكن بعد 11 سنة كاملة لم يتغير شيء، وبقيت الأوضاع كما هي :

- لا وجود لمساحات تعبير أو حرية رأي .
 - المحاكمات الجائرة بحق نشطاء حقوق الإنسان مستمرة بلا حد أدنى من الضمانات ، آخرها طل الملوحي (19 سنة) .
 - النظام الانتخابي باقي كما هو الأغرب على وجه الأرض؛ حيث يحصل البعث على 131 مقعداً مقدماً، والبقية الباقية للمقاعد يقتسمها مع خدمه وأتباعه ومريديه
 - مزيد من الفقر والغلاء والفساد والاحتكار!! وكذا الوعود !!
 - كما لم يتأثر الملك بمطالب المهجَّرين الذين قضى بينهم دهراً في بريطانيا طبيب عيون مرهف الحس، وقد قتلهم الشوق والحنين إلى موطنهم
- ما بين صورة سوريا الخيال التي تتزاحم في مخيلة السفيرة بثينة شعبان وهي تتحدث بدموعها عن طفولتها وصباها، وعن ذكريات عطف وحنان الرئيس الأسد !! ، ووعود بشار !!، وبين سوريا الواقع أمام عين الناشط الحقوقي هيثم مناع بونّ شاسع؛ فسوريا كما يراها مناع : "تموت ببطء على أيدي أجهزة مخابراتها".

لم تكن إشكالية الجمهوريات الملكية أبداً- كما وضّحت- في سوريا وجه الاختلاف بين قسوة الأب وبراءة الابن: فكلاهما كان "أسد" وإن اختلفت الملامح والمفردات!!.

لم يقف بشار طويلاً ، أمام مفترق طرق : إما التخاضع أو الامتداد ، بل تصالح مع عهد أبيه ؛ فلم يغب التعذيب والإعتقالات والإهانات وراء الوجه المتحضر واللحجة الثورية!!.

هكذا فُعل بشار : ضرب مثلاً لحكام صغار جدد قساة بالفطرة ، متكبرين بالاكتمساب، موصومين بالغرور والتسرع، منازين إلى بيئات أخرى لم تعرفها الشعوب؟!

لم أرى مشهداً سينمائياً معبراً كمشهد ميل جيبسون فى القلب الشجاع .

كان الإيرلندي وليم والاس مصلوباً ، وجزار الملك يمزق أحشائه ، وفى اللحظة التي ظن الجميع أنه سيطلب العفو ، صرخ : freedom ، لكن صرخة والاس لم تعد تعني لي شيئاً، بعد أن سمعت صرخات حقيقية تطالب بالحرية : مفعمة بالحياه ، ممثلة بالإرادة والتحدى ، مخضبة بالدم .

ربما صمت الشعب السوري طويلاً ؛ فلم يفهم بشار الدرس !

سقط زين العابدين بن علي : فلم يفهم بشار الدرس !

سقط حسني مبارك : فلم يفهم بشار الدرس !

اشتعل اليمن وليبيا : فلم يفهم بشار الدرس !

يطول صمت الشعب ، لكنه حينما يصرخ طالباً الحرية يسمعه الجميع .